التبين والتثبت في القرآن الكريم من خلال آيتي النساء والحجرات

د. عبد الودود مقبول أحمد حنيف

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى - قسم الكتاب والسنة

ملخص البحث: -

التبين والتثبت في القرآن، من خلال آيتي النساء والحجرات، ويتكون من تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة تمهيد في أهمية التبين في القرآن، المبحث الأول: عن معنى التبين وفيه المطلب الأول عن معنى التبيّن في اللغة والاصطلاح، والثاني: ورود (تبينوا) في القرآن، والثالث: في دلالة صيغة الأمر في (تبينوا)، المبحث الثاني عن سبب نزول آيتي (وتبينوا) في آية النساء وآية الحجرات، المبحث الثالث: عن الحادثتين وأثرهما، وفيه مطلبان، المطلب الأول: حادثة مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ وأثرها، والثاني: حادثة الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ وأثرها، المبحث الرابع: أهم الدروس المستفادة وفيه مطالب، المطلب الأول: عن خطورة الاشاعة، والثاني: حفظ الأرواح وصيانة الأعراض، والثالث: حفظ حقوق الأفراد والجماعات، المبحث الخامس: في أسباب عدم التبين وآثارها، وفيه مطلبان، المطلب الأول: في أسباب ودوافع عدم التبين، والثاني: آثار عدم التبين، خاتمـــــــــة وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

Research Summary: -

Identification and confirmation in the Qur'an، through the verses of women and rooms، and it consists of a preamble and four topics and a preliminary conclusion on the importance of identification in the Qur'an، the first topic: on the meaning of identification and in it the first requirement on the meaning of identification in language and convention، and the second: roses (identified) in the Qur'an، and the third In the significance of the formula of the matter in (they showed)، the second topic on the reason for the descent of Ayti (and they found) in the verse of women and the verse of rooms، the third topic: on the two incidents and their impact، and has two requirements، The first requirement: the incident between the dreamer and the impact of Gethumah، and the second: the incident of Al-Waleed bin Uqba ibn Abi Mu'ait and its impact، the fourth topic: the most important lessons learned and demands، the first demand: on the seriousness of the rumor، and the second: saving lives and maintaining symptoms، and the third: preserving the rights of individuals and groups، The fifth topic: On the reasons for the lack of identification and their effects، and it has two requirements، the first requirement: in the causes and motives of lack of identification، and the second: the effects of lack of identification، a conclusion and includes the most important findings and recommendations.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله، والداعين بدعوته إلى يوم الدين، وبعد:

موضوع التبين والتثبت في القرآن الكريم من خلال آيتي النساء والحجرات.

أهمية البحث: ـ

١) ارتباطه وتعلقه بكتاب الله تعالى الكريم الذي حثنا الله على تدبره.

٢) حاجة المكتبة القرآنية لمثل هذه الدراسات حيث كثر الاستعجال والحكم على الناس.

أسباب اختيار الموضوع: ـ

١) الرغبة في الكتابة في هذا الموضوع.

٢) استشعار الباحث لواقع المسلمين اليوم الْمُرّ، حيث يبنون أحكامهم على الظن والقيل والقال.

أهداف البحث: ـ

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية: ـ

ما معنى التثبت في القرآن الكريم؟

ما معنى التبين في القرآن الكريم؟

ما الفرق بين التبين والتثبت؟

يهدف البحث إلى بيان خطورة الظن ويجيب على نقطة مهمة ما هي آثار عدم التثبت؟

منهج البحث: ـ

اتبعت في منهج البحث الطريقة العلمية، وتم الجمع بين المنهج الاستقرائي والاستنتاجي، وتمثل المنهج الاستقرائي في جمع كلمة (تبينوا) في القرآن، وبيان

معناها، ودلالتها، وبيان سبب نزول آيات الأمر بالتبين في سورة النساء والحجرات، والمنهج الاستنتاجي في الحادثتين في عدم التثبت وأثرهما، وأهم الدروس المستفادة من حادثتي التبين والتثبت في القرآن.

الدراسات السابقة: ـ

من خلال البحث في مراكز البحوث والدراسات والمواقع الإلكترونية تبين وجود رسالتين في الموضوع: ـ

١. التثبت في القرآن الكريم رسالة ماجستير للباحث محمد محمد أحمد حسين أحمد.

٢. التثبت والتبين في المنهج الإسلامي دكتور أحمد العليمي، ولم أتمكن من قراءاتهما، ولا العثور عليهما في المكتبات.

خطة البحث: تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

تمهيد في أهمية التبين والتثبت.

المبحث الأول: عن معنى التبين والتثبت وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التبيّن والتثبت في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: ورود (تبينوا) في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: في دلالة صيغة الأمر الواردة في (تبينوا).

المبحث الثاني عن سبب نزول آيتي (وتبينوا) وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سبب نزول آيات الأمر بالتبين في سورة النساء.

المطلب الثاني: سبب نزول آيات الأمر بالتبين في سورة الحجرات.

المبحث الثالث: عن الحادثتين وأثرهما.. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حادثة مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ وأثرها.

المطلب الثاني: حادثة الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ وأثرها.

المبحث الرابع: أهم الدروس المستفادة من حادثتي التبين والتثبت في القرآن، وفيه مطالب:

المطلب الأول: عن خطورة الإشاعة.

المطلب الثاني: حفظ الأرواح وصيانة الأعراض.

المطلب الثالث: حفظ حقوق الأفراد والجماعات.

المبحث الخامس: في أسباب ودوافع عدم التبين والتثبت وآثارها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في أسباب ودوافع عدم التبين والتثبت.

المطلب الثاني: آثار عدم التبين والتثبت.

خاتمـــــــــــة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد في أهمية التبين والتثبت:

إن أهمية مبدأ (التثبت) أو(التبين) في الأمور العامة، تكمن في متعلقات ذلك بالحياة الفردية والأسرية والاجتماعية؛ يظهر ذلك في عناية القرآن الكريم والسنة النبوية بهذا المبدأ القويم.

إن مبدأ (التثبت) أو(التبين) في الأمور العامة، معلم ظاهر من معالم شرع الله المستقيم، وهو من الدعائم القوية التي يرتكز عليه منهج الإسلام في تعامله مع الحوادث؛ ومعالجة القضايا؛ إذ لا ينبغي التعجل في الأمور قبل أن تستجلي فيها الحقيقة، ولا رد فعل تغيب فيه الإثباتات في أي أمر من الأمور صغيرها وكبيرها.. فقد قال الله تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ}(1).

وفي السنة النبوية قال رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي زَعَمُوا؟ قَالَ: "بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ)(2).

" إِنَّمَا ذمّ هَذِه اللَّفْظَة، لِأَنَّهَا تسْتَعْمل غَالِبا فِي حَدِيث لَا سَنَد لَهُ، وَلَا ثَبت فِيهِ، إِنَّمَا هُوَ شَيْء يحْكى عَن الألسن، فَشبه النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يقدمهُ الرجل أَمَام كَلَامه، ليتوصل بِهِ إِلَى حَاجته مِن قَوْلهم: (زَعَمُوا)، بالمطية الَّتِي يتَوَصَّل بهَا الرجل إِلَى مقْصده الَّذِي يؤمه، فَأمر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتثبت فِيمَا يحكيه، وَالِاحْتِيَاط فِيمَا يرويهِ، فَلَا يروي حَدِيثا حَتَّى يكون مرويا عَن ثِقَة "(3).

---

(1) سورة البقرة آية: ١١١.

(٢ (رواه أحمد في مسند ط الرسالة ٢٨/ ٣٠٧ حديث ١٧٠٧٥، وصححه الشيخ الألباني في تخريج أحاديث الأدب المفرد للبخاري ص ٢٦٨، حديث رقم ٧٦٣ لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.

(٣) شرح السنة للبغوي ١٢/ ٣٦٢ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المتوفى: ٥١٦هـ تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وفي هذا إشارة إلى كراهية حكاية كل ما يُزحف من الأخبار، والاشاعات قبل التثبت منها، كما قَالَ صلى الله عليه وسلم: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)(٤).

فيه تأويلان أحدها: أن يروي ما يعلمه كذبا، ولا يبينه فهو أحد الكاذبين.

والثاني: أن يكون المعنى بحسب المرء أن يكذب لأنه ليس كل مسموع يُصدقُ به فينبغي تحديث الناس بما تحتمله عقولهم كشف"(٥).

فلا بد إذن من الأخذ بمبدأ التحري والتثبت والتبيُّن في كل الحوادث والقضايا، وأخذ الحيطة في التسرع في إصدار الأحكام لمعالجة الحوادث والقضايا، أو التفاعل معها قبل والتثبت والتبيُّن؛ لأن ذلك قد تعقبه ندامة وتأسف بعد فوات الأوان.

من أمثلة ذلك البارزة في السنة النبوية ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى)(٦).

فنلاحظ هنا كيف ردت هذه المرأة هذا الرد الغليظ بسبب عدم تثبتها من شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فوقعت في عدة أمور خطيرة منها:

١- مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الصريح بالصبر والاحتساب.

٢- فاتها أن تكسب دعوة من الرسول صلى الله عليه وسلم تخفف عنها ألم المصيبة.

٣- ذهابها إلى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرة دليل على شعورها بالذنب أو الخطأ الذي وقعت فيه؛ نتيجة التسرع وعدم التثبت والتبين.

---

(٤) رواه مسلم في صحيحه، باب النهى عن الحديث بكل ما سمع، ٨/١حديث رقم ٧، ٨.
(٥) المشكل من حديث الصحيحين ص: ٢٢٦ لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، الناشر، دار النشر، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ٢/ ١٠٠حديث رقم ١٢٨٣.

ومن المقرر في نفوس الصحب الكرام رضوان الله عليهم، الحرص التام على لُقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل حال وآن، لا سيما في أحوال الأزمات والملمّات للفوز بدعوة منه صلى الله عليه وسلم بالفلاح في الدنيا والآخرة، وتخفيف ألم المصيبة الحادثة، فكان التسرع وعدم التثبت والتبين سبباً مباشراً في حصول ذلك في وقت هي في أمس الحاجة إلى ذلك.

المبحث الأول: **عن معنى التبين والتثبت وفيه ثلاثة مطالب**:

المطلب الأول: **التبيّن والتثبت في اللغة والاصطلاح**.

أ- التبيّن في اللغة: التِبْنُ في اللغة معروف، "الواحدة تِبْنَةٌ. والتِبْنُ أيضاً: قَدَح كبير. والتَبْنُ بالفتح: مصدر تَبَنْتُ الدابة أَتْبِنُها تَبْناً، أي علفتها التِبْنَ. والتَبانَةُ: الطَبانةُ والفطنةُ. وقد تَبِنَ الرجل بالكسر يَتْبَنُ تَبَناً بالتحريك، أي صار فطناً، فهو تَبِنٌ أي فَطِنٌ دقيق النظر في الأمور. وقد تَبَّنَ تَتْبيناً، إذا أَدَقَّ النظر. والتَبَّانُ: الذي يبيع التِبْنَ"(٧).

و "التَبِينَ كفرحَ تَبْناً وتَبانَةً: فَطِنَ فهو تَبِنٌ ككَتِفٍ: فَطِنٌ دَقيقُ النَّظَرِ كتَبَّنَ تَتْبِيناً"(٨).

والمعنى الذي يعنينا هنا من معاني التبين هو هو المعنى الذي يعني الفطن وتدقيق النظر. وهو قريب من معنى التثبت إن لم يكن مرادف له.

ففي الصحاح "ثَبَتَ الشيءُ ثَباتاً وثبوتاً، وأَثْبَتَهُ غيره وثَبَّتَهُ، بمعنىً. ويقال: أَثْبَتَهُ السُقْمُ، إذا لم يفارقه"(٩). "والتأمل التثبت في النظر"(١٠).

و "ثبت الشيء يثبت ثبوتا دام واستقر فهو ثابت وبه سمي وثبت الأمر صح ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال أثبته وثبته والاسم الثبات وأثبت الكاتب الاسم كتبه عنده وأثبت فلانا لازمه فلا يكاد يفارقه"(١١). فكل معاني التثبت اللغوية ترجع إلى

(٧) الصحاح في اللغة ١/ ٦٢ للجوهري.
(٨) القاموس المحيط ص ١٥٢٧.
(٩) الصحاح في اللغة ١/ ٦٨ للجوهري.
(١٠) المخصص - لابن سيده ١/ ١٠٩ أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهم جفال.
(١١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٤٩٩/١ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المتوفى ٧٧٠هـ.

تثبّت في الأمر، والتّثبّت في الأمر والتّأنّي فيه؛ إذ إن التبيين هو: التثبت في الأمر والتأني فيه(١٢).

ب _ التبيّن في الاصطلاح: -

"التبين والاستبانة التعرف والتفحص ليعلم، والتثبت والاستثبات التأني والتأمل ليظهر"(١٣). و "الثبوت جمع ثَبْت من الرِّجال وهو الشّجاع"(١٤). و "التبين الاهتداء"(١٥).

و "التبين وهو علم يحصل بعد الالتباس، ثم الاستبصار وهو العلم بعد التأمل، ثم الإحاطة وهي العلم بالشيء من جميع وجوهه"(١٦).

وفُسر العقل: بالتثبت في الأمور، وأن الإفراط: إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت(١٧).

والذي نلاحظه على معنى التبين والتثبت ما يلي:

١- أنها تدور حول التأني والتريث وعدم العجلة وعدم التسرع في الأمور قبل التبين منها.

وأن خلاف ذلك دليل على الافراط والتفريط، وخفة العقل والطيش.

٢- أنه ليس هناك فرق بين حقيقة التبين ومفهوم التثبت؛ إذ كلٌ قد يُفسر بالآخر؛ يؤكد هذا ورود القراءة { فَتَثَبَّتُوا } في الموضعين هن(١٨).

---

(١٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٣٤/ ٣٠٩)للزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(١٣) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ٢/ ٦٩ للإمام أَبِي حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّسَفِيُّ المتوفى ٥٣٧هـ. الطبعة المعتمدة: دار الطباعة العامرة..

(١٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٣٥٥.

(١٥) شرح نهج البلاغة ٨/ ١٠٦ عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين المتوفى: ٦٥٦هـ المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(١٦) كتاب الكليات - لأبى البقاء الكفوى ص ٨٢ تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(١٧) تهذيب اللغة ١٦١/١، ١٣/ ٢٢٧ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، وكتاب العين (٧/ ٤١٩) أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

(١٨) سورة النساء، آية: ٩٤.

وفي الحجرات بالتاء والثاء كذلك[19]، عند حمزة والكسائي وخلف على معنى التثبت والباقون بالياء والنون من التبين[20]، وهي قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٣- أن التثبت هو ثمرة التبين، ومنْ تبيَّن فقد تثبّتَ، ومن تثبت فقد تبين[21].

وإن التبين القصد منه التثبت.. فيكون التبين مثل التثبت في الأمور والتأني فيها[22].

كما قيل: {تبينوا } أبلغ وأشد من لفظ (تثبتوا)، لأن المتثبت قد لا يتبين، وقال أبو عبيد: هما متقاربان، وهو الصحيح؛ لأن تبين الرجل لا يقتضي أن الشيء بان له، بل يقتضي محاولة اليقين، كما أن ثبت تقتضي محاولة اليقين، فهما سواء "[23].

المطلب الثاني: **ورود لفظ (تبينوا) في القرآن**.

على سبيل الحصر فقد ورد لفظ (تبينوا) في القرآن الكريم ثلاث مرات.

١-المرة الأولى والثانية في آية واحدة في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[24].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا سافرتم للتجارة، أو خرجتم للجهاد في سبيل الله لجهاد الأعداء فتثبتوا في أمر من تقاتلون، وتحققوا من الأمر ولا

(١٩) سورة الحجرات، آية: ٦.
(٢٠) ينظر: تحبير التيسير في القراءات العشر ص: ٣٤٢ لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، دار النشر: دار الفرقان، الأردن، عمان - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ص: ٥١٢ لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أنس مهرة.
(٢١) تفسير الشعراوي ص ١٧٦١ لمحمد متولي الشعراوي، المتوفى: ١٤١٨هـ.
(٢٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢/ ٣٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٣٩٦تحقيق د. محمد خان.
(٢٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ١٧٧أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى: ٥٤٢هـ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
(٢٤) سورة النساء، آية: ٩٤.

تتسرعوا في الحكم، حتى لا تقتلوا مسلماً تحسبونه كافراً، ولا تقولوا لمن أظهر لكم ما يدل على إسلامه: لست مؤمنًا، وإنما حملك على إظهار الإسلام الخوف على دمك ومالك، فتقتلوه تطلبون بقتله متاع الدنيا الزهيد كالغنيمة منه، فعند الله مغانم كثيرة، وهي خير وأعظم من هذا، كذلك كنتم من قبل مثل هذا الذي يخفي إيمانه من قومه، فمنَّ الله عليكم بالإسلام فعصم دماءكم فتثبتوا، والله تعالى لا يخفى عليه شيء من عملكم وإن دق وسيجازيكم به، وهو تذييل يحمل الوعد والوعيد، الوعد لمن أطاع والوعيد لمن عصى إذ لازم كونه تعالى خبيراً بالأعمال أنه يحاسب عليه ويجزي بها، وهو على كلِّ شيء قدير.

١- المرة الثالثة في قوله تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(٢٥).

المعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله، وصدقوا باللَّه تعالى ورسوله صلّى اللَّه عليه وسلّم، وعملوا بما شرع، إن جاءكم فاسق بخبر عن قوم، والمراد بالفاسق الذي خرج عن حدود الدين أو الشرع، أو ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب كالكذب مثلا، والنبأ الخبر ذو الشأن، والتبيّن التثبت، فتثبتوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ ولا تأخذوه مجردًا، ولا تتعجلوا بالحكم حتى تتبصروا في الأمر والخبر لتتضح الحقيقة وتظهر، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، خوف أن تصيبوا -إذا صدّقتم خبره دون تثبت- قومًا بجناية وأنتم جاهلون حقيقة أمرهم، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره.

وفي تنكير فاسِقٌ وبِنَبَإٍ دلالة على العموم في الفساق والأنباء، كأنه قال: أيّ فاسق جاءكم بأي نبأ، فتوقفوا وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا قول الفاسق، لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه(٢٦).

والذي يلاحظه القارئ على هذه النداءات: -

(٢٥) سورة الحجرات، آية: ٦.
(٢٦) الكشاف للزمخشري ١٤٩/٣.

١. أنها كانت موجهة للمؤمنين بصفة خاصة.

٢. أن الصيغة التي ودر بها (التبين) في هذه الآيات كانت بصيغة الأمر.

٣. " فيه الأمر بالتثبت عند الشبهة، والنهي عن الإقدام عندها، وهكذا الواجب على المؤمن الوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر؛ لأن اللَّه - تعالى - أمر بالتثبت في الأفعال بقوله: {فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}(٢٧)، وقال في الخبر: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}[٢٨]، أمر بالتثبت في الأخبار عند الشبهة، كما أمر في الأفعال لنبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}[٢٩]،[٣٠].

المطلب الثالث: في دلالة صيغة الأمر الواردة في (تبينوا).

فتعريف الأمر: "هو طلَبُ تحقيق شيْءٍ ما، مادّيٍّ أو معنويّ"[٣١].

وإعراب قوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا}[٣٢]، (الفاء)رابطة لجواب الشرط (تبينوا) فعل أمر مبني على حذف النون[٣٣].

واختلاف علماء الأصول في تحديد دلالة الأمر وصيغته بقوله: إن الأصوليين اختلفوا في صيغة الأمر: لماذا وضعت؟ والجمهور: على أنها حقيقة في الوجوب فقط، وقيل: إنها هي حقيقة في الندب فقط، وقيل هي المطلب، وهو القدر المشترك بين

(٢٧) سورة النساء، آية: ٩٤.
(٢٨) سورة الحجرات، آية: ٦.
(٢٩) سورة الإسراء آية ٣٦.
(٣٠) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ٣/٣٣١ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المتوفى: ٣٣٣هـ المحقق: د. مجدي با سلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م
(٣١) البلاغة العربية ١/ ٢٢٨عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، المتوفى: ١٤٢٥هـ، الناشر: دار القلم دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦ م.
(٣٢) سورة الحجرات آية: ٦.
(٣٣) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٥/ ١٣٧ محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ م.

الوجوب والندب، وقيل مشتركة بين الوجوب والندب ... وقيل مشتركة بين معان ثلاثة الوجوب، والندب، والإباحة[٣٤].

والملاحظ أن هناك تداخلاً بين هذه الدلالات الوظيفية، ولا يبقى إزاء هذا التداخل من سبيل للفصل بينها إلا القرائن الموضحة، ولعل هذا التداخل هو الذي كان سبباً من أسباب اختلاف علماء التشريع في قراءة النصوص، وتفسيرها[٣٥].

وأهل الأصول يقولون: "أنَّ الأمر بالشيءِ نهْيٌ عن ضدّه، وبالعكس"[٣٦].

فيُفيد هذا أن الأمر بالتثبت والتبين هو في حقيقته نهي عن ضده، والتسرع والاستعجال، وعدم التأني في الأمور.

وفي إعادة الأمر بالتبيين في قيله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا} دلالة واضحة على المبالغة في التحذير عن ذلك الفعل "[٣٧].

ويقول الطاهر بن عاشور[٣٨]: " والتبين: شدة طلب البيان، أي التأمل القوي، حسبما تقتضيه صيغة التفعل. ودخول الفاء على فعل تبينوا لما في إذا من تضمن معنى الاشتراط غالبا. وقرأ الجمهور: {فتبينوا} بفوقية ثم موحدة ثم تحتية ثم نون من التبين وهو تفعل، أي تثبتوا واطلبوا بيان الأمور، فلا تعجلوا فتتبعوا الخواطر الخاطفة الخاطئة "[٣٩].

---

(٣٤) كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١٠٣، والنظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي ص٩١ د. نعمان بوقرة - الجزائر، الناشر: اتحاد الكتاب العرب.

(٣٥) تفسير النصوص ٢ / ٢٣٩ محمد أديب صالح.

(٣٦) البلاغة العربية ١/ ٢٩١.

(٣٧) مفاتيح الغيب ١٠/ ١٧٨ محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى، دار النشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت.

(٣٨) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها، ١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ، عين عام ١٩٣٢ شيخا للاسلام، مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها التحرير والتنوير في تفسير القرآن، ومقاصد الشريعة الاسلامية، و أصول النظام الاجتماعي في الاسلام، وغير ذلك، انظر الأعلام للزركلي ١٧٤/٦، ومقاصد الشريعة ترجمة المحقق للكتاب ص١١، ومحمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه تأليف إيَّاد خالد الطَّبَّاع.

(٣٩) التحرير والتنوير ٤/ ٢٢٥ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى: ١٣٩٣هـ، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

وقراءة" {فتثبتوا} بفاء فوقية فمثلثة فموحدة ففوقية بمعنى اطلبوا الثابت، أي الذي لا يتبدل ولا يحتمل نقيض ما بدا لكم "(٤٠).

وعلى كل الأحوال فإن" كل الناس محتاجون إلى التثبت، وأحوجهم إليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع، وليس عليهم مستحث "(٤١).

المبحث الثاني عن سبب نزول آيتي (وتبينوا)

المطلب الأول: سبب نزول آيات الأمر بالتبين في سورة النساء

ما سبب نزول قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }(٤٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا {وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ(٤٣) لَهُ، فَلَحِقَهُ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيْمَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ {تبتغون عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، تِلْكَ الْغُنَيْمَةُ)(٤٤).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أيضاً ـ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ غَنَمٌ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا: مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ لِيَتَعَوَّذَ مِنْكُمْ، فَقَامُوا فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غَنَمَهُ، فَأَتَوْا بِهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(٤٠) التحرير والتنوير ٤/ ٢٢٣، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

(٤١) التذكرة الحمدونية ١/ ٣٠٣ ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي المتوفى: ٥٦٢هـ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

(٤٢) سورة النساء، آية: ٩٤.

(٤٣) غُنَيْمَة بضم الغين المعجمة وفتح النون، تصغير غنم، لأن الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور وعلى الإناث، فإذا صغرتها ألحقتها الهاء فقلت غنيمة، لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، عمدة القاري ١١٦/٢٧.

(٤٤) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٩حديث رقم ٤٥٩١، كتاب التفسير، باب {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا}.

وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}.(٤٥).

كل هذه الروايات اتفقت على ذكر سبب النزول، ولكنها لم تذكر فيمن نزلت فيه، وهو الأمر الذي قام العلماء بالاهتمام به، فنص ابن جرير الطبري على أنها نزلت في محلِّم بن جثَّامة(٤٦)، بينما نص البغوي على أنها نزلت في أسامة بن زيد رضي الله عنه(٤٧).

وقيل نزلت في المقداد بن الأسود رضي الله عنه(٤٨).

وأورد الشوكاني روايتين في تحديد من نزلت فيه الآية، فذكر في الأولى أنها نزلت في محلِّم بن جثَّامة بن قيس الليثي، وذكر في الرواية الثانية أنها نزلت في المقداد بن الأسود، ثم قال: وفي سبب النزول روايات كثيرة، وهذا الذي ذكرناه أحسنها"(٤٩).

ويقول الرازي: "أجمع المفسرون على أن هذه الآيات إنما نزلت في حق جماعة من المسلمين لقوا قوما فأسلموا فقتلوهم وزعموا أنهم إنما أسلموا من الخوف"(٥٠).

قلت: ابن كثير على ترجيح أن رواية أنها نزلت في محلِّم بن جثَّامة(٥١). هذا فيما يتعلق بآية النساء.

---

(٤٥) رواه الترمذي في السنن ٢٤٠/٥حديث رقم ٣٠٣٠، بَاب: وَمِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، وقال عقبه هذا حديث حسن، وفي الباب عن أسامة بن زيد، قال الشيخ الألباني: "صحيح" الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، و أحمد بن حنبل في المسند ١/ ٢٢٩ حديث رقم٢٠٢٣ الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة، وابن حبان صحيحه ١١/ ٥٩ حديث رقم٤٧٥٢، باب ذكر الإخبار عن نفي جواز قتل الحربي إذا أتى ببعض أمارات الإسلام.

(٤٦) جامع البيان ٩/ ٧٢.

(٤٧) معالم التنزيل٢/ ٢٦٨.

(٤٨) أسباب النزول ص ١٧٣ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المتوفى: ٤٦٨هـ، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام؛ الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

(٤٩) فتح القدير للشوكاني ٢/ ١٩٥، ١٩٦.

(٥٠) مفاتيح الغيب ١٠/ ١٧٨.

(٥١) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٨٣ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، والبداية والنهاية ٤/ ٢٥٧ ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى: ٧٧٤هـ، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المطلب الثاني: **سبب نزول آيات الأمر بالتبين في سورة الحجرات**.

أما آية الحجرات وهي قوله تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(٥٢).

فقد روى الإمام أحمد أنها نزلت في الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ(٥٣)، وسترد قصته في ذلك فيما بعد.

وقال ابن جرير الطبري: "وذُكر أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط"(٥٤).

وقال ابن كثير: "وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق"(٥٥).

وقال البغوي: "في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ } يعني الوليد بن عقبة أبي معيط"(٥٦). فهذا يدل على ويُقوي القول أنها نزلت فيه. وهو ما نص عليه ابن حزم الظاهري(٥٧).

---

(٥٢) سورة الحجرات آية: ٦.
(٥٣) رواه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٩ حديث رقم ١٨٤٨٢، ومعجم الصحابة لأبي القاسم البغوي ٢/ ٤٠ حديث رقم ٤٥٨ أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، المتوفى: ٣١٧ هـ، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان، الكويت. والسنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي ٩/ ٥٤ حديث رقم ١٨٤٣٤، باب قِسْمَةِ الْغَنِيمَةِ فِى دَارِ الْحَرْبِ.
(٥٤) جامع البيان ٢٢/ ٢٨٦.
(٥٥) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، دار طيبة ٧/ ٣٧٠.
(٥٦) معالم التنزيل ٧/ ٣٣٩.
(٥٧) الإحكام في أصول القرآن ص ١٣١ لابن حزم.

المبحث الثالث: عن الحادثتين وأثرهما

المطلب الأول: حادثة مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ وأثرها

إن حادثة مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ قد ذكرها غالب كتب السير والتاريخ بكثير من الاتفاق، فقد ذكر ابن هشام(٥٨) أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرة فيهم مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بن قيس فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم(٥٩)، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له، ومعه متيع له، ووطب من لبن فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره وأخذ متيعه قال فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }(٦٠) "(٦١)،

وعندما جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ما اسمك؟ قال: أنا مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ قال، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال: اللهم لا تغفر لـمُحَلِّم بْنِ جَثَّامَةَ ثلاثا، فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه.

وفي رواية، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه: أمنته بالله ثم قتلته، ثم قال له المقالة التي قال: قال فو الله ما مكث مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ إلا سبعا حتى مات(٦٢)، فلفظته الأرض، ثم عادوا له فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته، فلما غلب

---

(٥٨) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الذّهليّ النحويّ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب أشتهر بكتابه: السيرة، وعرفت باسم: سيرة ابن هشام. توفّى بمصر لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ثمان عشرة و مائتين، ينظر ترجمته في: معجم الشيوخ للسبكي (ص: ١٣١) تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ٧٢٧ - ٧٧١ هـ، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي ٧٠٣ - ٧٥٩ هـ، المحقق: الدكتور بشار عواد - رائد يوسف العنبكي - مصطفى إسماعيل الأعظمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤م. وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.

(٥٩) اسم موضع بين خيبر ووادي القرى. وهي عيون ونخل لقريش في بلاد جهينة، الآن في ينبع. معجم البلدان ١/ ٧٨ لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر، دار الفكر، بيروت.

(٦٠) سورة النساء آية ٩٤.

(٦١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٨/٦ لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، المتوفى: ٢١٣هـ، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

(٦٢) السيرة النبوية لابن هشام ٦/ ٤٠.

قومه عمدوا الى صدين فسطحوه بينهما، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه قال: فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: (أَمَا وَاللهِ إِنَّ الأَرْضَ لَتُطْبِقُ عَلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَكُمْ بِحُرْمَتِكُمْ فِيمَا بَيْنَكُم بِمَا أَرَاكُمْ مِنْه)(٦٣)

وفي رواية ابن ماجة فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ أَنْ يُرِيَكُمْ تَعْظِيمَ حُرْمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)(٦٤).

وفي المُحصّلة نلاحظ أن حادثة مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ قد ذكرها غير واحد من العلماء، سواء في كتب التفاسير، من ضمن أسباب النزول، وكتب السير وأخبار السرايا والغزوات، وكتب العقائد.

وهذه الحادثـــة تتضمن عدة أمور وقضايا تستحق الوقوف عندها والتأمل من أبرزها ما يلي:

١ـ عِظم سفك الدماء عموماً، ودم المسلم على وجه الخصوص.

٢ـ أن من علامات وظواهر مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ هذه الحادثة عند رسول لله صلى الله عليه وسلم أنّ الرجلَ جاء إليه مُقراً ومعتذراً، ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه ذلك؛ بل وفوق ذلك دعا صلى الله عليه وسلم عليه ثلاثاً بعدم المغفرة؛ كما ذكر ذلك غير واحد من أهل السير(٦٥)..

(٦٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٢٥/٧ حديث رقم ٣٧٠١٣ أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ه، وسيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٨ وقال الهيثمي: رواه الطبراني في ترجمة ضميرة عقب قصة مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، وإسناده منقطع". المعجم الكبير للطبراني ٥/ ٢٨٧ حديث رقم ٥٣٢٣، مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٨ الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧* بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

(٦٤) رواه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٢٩٦ حديث رقم ٣٩٣٠، بَابُ الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد المتوفى: ٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي، حديث الحديث حسنه الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني في صحيح ابن ماجة ٢/ ٣٤٧، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية ـ المجاني ـ من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٦٥) السيرة النبوية لابن هشام ٤٠/٦، وإمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ١٣/ ٣٥٣لقي الدين أحمد بن على المقريزى (م ٨٤٥)، دار النشر: دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٠/١٩٩٩م، بيروت، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى.. والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ٢/ ٢٥٥ لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، دار النشر: عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى.

والجميع يعلم أنه صلى الله عليه وسلم عليه رؤوف رحيم، قبل من أناس كثيرون لا يقلٌّ إجرامهم عن هذه الحادثة.

٣- أن مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ ما مكث إلا سبعاً حتى مات، فدفنوه فلفظته الأرض، كما ذكر ذلك غير واحد(٦٦).

فهذا هي النتيجة المتوقعة، والنهاية السريعة المنتظرة لـمُحَلِّم بْنُ جَثَّامَةَ بعد دعاء النبي أنه صلى الله عليه وسلم عليه بعدم المغفرة؛ الأمر الذي يُشعر بخطورة العجلة في اتخاذ المواقف، وردود الأفعال قبل التثبت والتبين في الأمور.

وهذا كله ما هو إلا نذْر يسير من الآثار السلبية السيئة لهذه الحاثة الأليمة المبنية - أساساً – على عدم التثبت والتبين في الأمور.

المطلب الثاني: حادثة الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ وأثرها

حادثة الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ رضي الله عنه قد ذكرها غير واحد من أصحاب كتب السنة والسير؛ وكان ذلك في السنة الثانية والعشرين من النبوة وهي التاسعة من الهجرة(٦٧)، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَعَثَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ إِلَى بَنِى الْمُصْطَلِقِ لِيَأْخُذَ مِنْهُمُ الصَّدَقَاتِ، وَإِنَّهُ لَمَّا أَتَاهُمُ الْخَبَرُ فَرِحُوا وَخَرَجُوا لِيَتَلَقَّوْا رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَإِنَّهُ لَمَّا حُدِّثَ الْوَلِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بَنِى الْمُصْطَلِقِ قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا فَبَيْنَمَا هُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَغْزُوهُمْ إِذْ أَتَاهُ الْوَفْدُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ رَسُولَكَ رَجَعَ مِنْ نِصْفِ الطَّرِيقِ، وَإِنَّا خَشِينَا أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا رَدَّهُ كِتَابٌ جَاءَهُ مِنْكَ لِغَضَبٍ غَضِبْتَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضِبِ اللَّهِ وَغَضِبِ رَسُولِهِ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- اسْتَغْشَهُمْ وَهَمَّ بِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عُذْرَهُمْ فِى الْكِتَابِ فَقَالَ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(٦٨))(٦٩).

---

(٦٦) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٦/٤٠ و وإمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ١٣/٣٥٣، والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ٢/ ٢٥٥.

(٦٧) ينظر: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ٣/ ٥٠٢ علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى ١٠٤٤هـ الناشر: دار المعرفة١٤٠٠هـ بيروت.

(٦٨) سورة الحجرات آية ٦.

فقيل إن المقصود بالفاسق في الآية هو" الوليدُ بنُ عُقْبَةُ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ "[٧٠].

وذكر الشيخ الألباني هذه الحادثة بقوله: " بعث رسول- صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ، فرجع فأتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وقال: يا رسول الله! إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي! فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البعث إلى الحارث. فأقبل الحارث بأصحابه.

حتى إذا استقبل البعث وفصل من المدينة؛ لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث! فلما غشيهم قال لهم: إلى من بُعِثتُم؟ قالوا: إليك! قال: ولم؟! قالوا: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله! قال: لا والذي بعث محمداً بالحق! ما رأيتُهُ بَتَّةً ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟!).

قال: لا والذي بعثك بالحق! ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسولَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -؛ خشيت أن تكون كانت سُخطة من الله عز وجل ورسوله، قال: فنزلت { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[٧١]،[٧٢]. وهذا يعني صحة أحداث هذه الحادثة.

=

(٦٩) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥٤/٩ حديث رقم ١٨٤٣٤، باب قِسْمَةِ الْغَنِيمَةِ فِى دَارِ الْحَرْبِ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي المتوفى: ٤٥٨هـ، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، وإمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ٢/ ٤٢.

(٧٠) أسباب النزول ص ٣٧٩ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. والجوهر النقي لابن التركماني ٩/ ٥٧ لعلاء الدين علي بن عثمان، الشهير بابن التركماني الناشر دار الفكر.

(٧١) سورة الحجرات آية ٦.

(٧٢) أخرجه أحمد٢٧٩/٤، وابن أبي عاصم في الأفراد ٢٣٥٣/٣٢٢/٤، والطبراني في الكبير ٣١٠/٣-٣١١من طريق محمد بن سابق: ثنا عيسى ابن دينار به. قلت: وهذا إسناد صحيح؛ رجاله كلهم ثقات مترجمون في التهذيب، ولذلك قال الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: إنه من أحسن طرق الحديث "، السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة ١ - ٩ (٢٢/ ١٦) محمد ناصر الدين الألباني.

وهذه الحادثــة تتضمن عدة أمور وقضايا تستحق الوقوف عندها والتأمل من أبرزها ما يلي:

١- أنها حادثة مبنية على الكذب والإفتراء؛ قال تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}(٧٣).

٢- أن أثر هذه الكذبة قد يترتب عليها استهداف بني المصطلق بالقتال، على أنهم مرتدون عن الاسلام، ما يعني استحلال دمائهم وأعراضهم، ظُلماً وعدواناً.

٣- أن من أسباب هذه الحادثة الجُبن والخوف، كما ذكره أهل السير(٧٤)، وعدم التثبت والتبين في الأمور.

وهذا كله ما هو إلا مؤشر واضح على الآثار السلبية السيئة التي قد تنشأ على عدم التثبت والتبين في الأمور.

المبحث الرابع: أهم الدروس المستفادة من حادثتي التبين والتثبت في القرآن

المطلب الأول: خطورة الإشاعة

الإشاعة، والشائعة مصدر أشاع، وشاع الخبر في الناس شيوعا، أي: انتشر وذاع وظهر، والشائعة هي الأخبار التي لا يُعلم من أذاعها. فلو سألت من ينقل الشائعة عن مصدرها، سيقول لك قالوا زعموا، والشائعة يطلقها الجبناء، ويصدقها الأغبياء، ونشرها يفتك بالأمة ويفرّق أهلها، ويسيء ظن بعضهم ببعض، ويفضي إلى عدم الثقة بينهم، وأسرع الأمم تصديقًا للإشاعات هي الأمم الجاهلة الفاشلة، بسذاجتها تصدّق ما يقال، وهي سلاح خطير، والإسلام يحرمها، قال الله تعالى في محكم التنزيل { إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ }(٧٥)، هذا هو الحكم الأخروي، وبالنسبة للحكم المترتب على الشائعة الكاذبة فهو الحد، قال تعالى {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا

---

(٧٣) سورة النحل آية ١٠٥.
(٧٤) ينظر: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم ص ٢٠٥ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف، مصر الطبعة: ١، ١٩٠٠ م.
(٧٥) سورة النور آية ١٩.

تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}(٧٦) وقال تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} (٧٧)

ومطلق الشائعة مجرم، وسماه القرآن مرجف، ومن المعاني التي تطلق على الإرجاف في اللغة الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتن؛ لأنه ينشأ عنه اضطراب بين الناس، وهو حرام، لما فيه من الإضرار بالمسلمين، قال تعالى {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّك بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَك فِيهَا إلا قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً} (٧٨)

قال ابن كثير{ والمرجفون فِي المدينة } يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب، وهو كذبوافتراء، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق {لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} قال ابن عباس: أي لنسلطنك عليهم، وقال قتادة: لنحرشنك إليهم، وقال السدي: لنعلمنك بهم، { ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ } أي في المدينة { إِلاَّ قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ } حال منهم في مدة أقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين { أَيْنَمَا ثقفوا } أي وجدوا، { أُخِذُواْ } لذلتهم وقلتهم، { وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً }. ثم قال تعالى: { سُنَّةَ الله فِي الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ } أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم، ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، { وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً } أي وسنّة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير(٧٩).

ولما هاجر الصحابة من مكة إلى الحبشة، أُشيع وانتشرت الإشاعة أن كفار قريش في مكة قد أسلموا فرجع بعضهم من سفره، ولاقَى ما لاقى في طريقه من شدةٍ ومشقة وأهوال، وعندما وصلوا إلى مكة وجدوا الخبر مكذوبا غير صحيح، وكل ذلك بسبب الإشاعة.

وفي غزوة أحد أُشيع في ساحة المعركة بين الناس أن المقتول هو سيد البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخسر الجيش خسائر كبيرة من أهمها، أنه تحطمت

(٧٦) سورة النور آية ٤.
(٧٧) سورة الأحزاب آية ٥٨.
(٧٨) سورة الأحزاب آية ٦٠، ٦١.
(٧٩) تفسير القرآن العظيم ٤٨١/٦.

معنوياته، وانكفأ على نفسه، فمنهم من هرب من ساحة المعركة، ومنهم من ترك القتال، وكل ذلك بسبب الإشاعة.

ومن أخبث الإشاعات وأخطرها، الإشاعة التي أشاعها المنافقون بين الناس، تلكم الحادثة التي فُتِن فيها بعض المسلمين، وتحدثوا فيها دون تثبت ولا تبين، الحادثة التي اتهمت فيه عائشة رضي الله عنها في عرضها بالفاحشة، وهي الطاهرة العفيفة، الصّدّيقة بنت الصّدّيق، التي برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات.

ومن السهل التماس العلاقة الوثيقة بين الإشاعة، وبين التثبت والتبين؛ لأن سلوك ترويج الإشاعات وعدم الاكتراس بعواقبها، هي نفسها عملية عدم الأخذ بمبدأ التثبت والتبين.

فبعد أن عرفنا مفهوم التثبت والتبين، وبعض الفوارق بين اللفظتين فيما سبق، يحسن بنا بيان العلاقة بين الإشاعة، وبين التثبت والتبين من خلال النقاط التالية:

١- أنه إذا كان عدم التثبيت أو التبين هو العجلة في التفاعل مع الحدث قبل التأكد من صحته، فإن الإشاعة هي ترويج ذلك الحدث ونشره، وتهيّج الناس أو المجتمع لتقبّله قبل التأكد من صحته.

٢- أن الأمر بالتثبت أو التبين في الاصطلاح الإسلامي هو: عدم التسرع أو عدم التأني والتريث في كل ما يمس المسلمين بل الناس جميعاً من أحكام أو تصورات الدينية أو الدنيوية، وأن الإشاعة هي: تناقل وتداول لتلك الأحكام وتلك التصورات دون تدقيق لواقعها من حيث الصحة أو عدمها، وما يحيط به من ظروف وملابسات، عن طريق القصد.

٣- أن القرآن الكريم قد ندب المؤمنين وأرشدهم إلى المنهج المستقيم والموقف الصائب مع الحوادث وهو التثبت أو التبين، حتى لا تنقلب إلى الإشاعات يروجها المرجفون؛ فقال تعالى: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا

وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}(٨٠).

قال البغوي: "فإن قيل: كيف يصيرون عند الله كاذبين إذ لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت؟ قيل: " عند الله "أي: في حكم الله وقيل: معناه كذبوهم بأمر الله وقيل: هذا في حق عائشة، ومعناه: أولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي"(٨١).

وعليه فمن لم يأت بشهود على دعواه لم يتثبت ولم يتبين منها، فإن أعلنها كانت من باب الإشاعات. وهذا يُعد من أهم الدروس المستفادة من الأخذ بمبدأ التثبت والتبين في حقائق الأمور.

المطلب الثاني: حفظ الأرواح وصيانة الأعراض.

يُعتبر حفظ الأرواح وصيانة الأعراض من أهم الدروس المستفادة من الأخذ بمبدأ التثبت والتبين في الوقائع؛ وذلك أن الأخبار أغلبها تأتي في سياق الدعاوى، والدعاوى لا بد لها من بينات تُثبتها أو تنفيها، فالدعاوى دوماً محتاجة إلى إثبات بالحجة(٨٢).

فمن ادعى على غيره حقاً فلا بد من البينة، فإن لم يأت ببينة تشهد بصحة دعواه، فعلى الآخر اليمين التي تنفي ما ادعاه المدعي، لقَوله صلى الله عليه وسلم: (لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ)(٨٣).

يقول الحافظ ابن حجر: "قال العلماء: الحكمة في ذلك لأن جانب المدعي ضعيف لأنه يقول خلاف الظاهر فكلف الحجة القوية وهي البينة لأنها لا تجلب لنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرراً فيقوى بها ضعف المدعي وجانب المدعى عليه قوي؛ لأن الأصل

(٨٠) سورة النور، آيات ١٢ – ١٣.
(٨١) معالم التنزيل ٦/ ٢٤.
(٨٢) ينظر: أصول السرخسي ٢٣٥/١ أبى بكر محمد بن احمد بن ابى سهل السرخسى المتوفى سنة ٤٩٠هـ، الناشر: دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
(٨٣) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٣، حديث رقم ٤٥٥٢كتاب التفسير، باب {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ}، ومسلم ٥/ ١٢٨ حديث رقم ٤٥٦٧، باب اليمين على المدعى عليه.

فراغ ذمته فاكتفى منه باليمين، وهي حجة ضعيفة؛ لأن الحالف يجلب لنفسه النفع ويدفع الضرر فكان ذلك في غاية الحكمة"(٨٤).

فيُلاحظ هنا كيف كان الأخذ بمبدأ التثبت والتبين في حقائق الأمور وقضاياها حافظ لأرواحهم وصيانةً لأعراضهم!؟. ولهذا لو جعل القول قول المدعى- فقط- لاستبيحت الدماء والأعراض والأموال، ولا يمكن لأحد أن يصون دمه وماله، وأما المدعون فيمكنهم صيانة أموالهم بالبينات؛ فلهذا استقر الحكم فى الشرع على ما هو عليه.

قال النووي: "وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع، ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه، بل يحتاج إلى بينة أو تصديق المدعى عليه، فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك"(٨٥).

والإسلام جاء بحفظ الضرورات الخمس التي هي الدين والنفس والعقل والْعِرْض والمال، ليعيش المسلم آمنا مطمئنا يعمل لدنياه وآخرته، ويعيش المجتمع المسلم أمة واحدة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضاً وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، ولا يمكن ذلك إلا بحفظ هذه الضرورات الخمس، والْعِرْض ما يجب على الإنسان صيانته وحفظه وحمايته من الأذى والانتقاص سواءٌ في النفْس أو القرابة القريبة(٨٦)، وصَوْنُه مهم وعظيم إذ رفع القرآن من قَدْرِ صائنه، وقد امتدح الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ ﴾(٨٧)، وعقوبة جرائم الْعِرْضِ في الاسلام

(٨٤) فتح الباري (٥/ ٢٨٣) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه
(٨٥) شرح النووي على مسلم٦/ ١٣٦ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢ه
(٨٦) الاسلام ومقاصده وخصائصه، مكتبة الرسالة الحديثة ط٢، ١٩٩١م ص ١٩٨.
(٨٧) سورة الفرقان، آية ٦٨.

كبيرة قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)(٨٨)،

والإسلامُ أمرَ بحفظِ الأعْراضِ مِن انتهاكها بالقولِ أو الفعلِ، لأنَّه ممَّا يورِثُ العَداوةَ والبَغضاءَ والكراهية بينَ المسلِمينَ، فالوُقوعَ في الْعِرْض بغيرِ حَقٍّ وبغيرِ سَببٍ شَرعيٍّ يُبيحُ له استِباحةَ عِرضِ أخيهِ، وبأكثرَ ممَّا يستحِقُّه من القولِ أو الفعلِ، وعدم التثبت يؤدي إلى التطاول على أعراض الناس بالقَولِ أو الفِعلِ.

المطلب الثالث: **حفظ حقوق الأفراد والجماعات**.

أما كيف يكون حفظ حقوق الأفراد والجماعات من أهم الدروس المستفادة من الأخذ بمبدأ التثبت والتبين في الوقائع والأحداث؛ ذلك ما سبق طرفٌ منه في المطلب السابق؛ وإضافة إليه فإن المولى جلّ جلاله قد ندب المؤمنين إلى عدم إذاعة أمور الأمن والخوف وإشاعتها، قبل التثبت والتبين منها؛ لما في ذلك من خطر محقق على حياة الأفراد والمجتمع؛ وإنما اللائق والواجب الدفع بتلك الأمور إلى أهل الحل والعقد؛ التعامل معها بما يضمن المصالح العُليا للأمة، فقال تعالى { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}(٨٩).

يقول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي معلقاً على الآية: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها.

(٨٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ٤٢٠/٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٦٦٧/٧.
(٨٩) سورة النور، آية ٨٣.

فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: { لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟ "[٩٠].

فقوله: "وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه"، حقيقته الأمر بالتثبت والتبين في وقائع الأمور.

ونجد كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغـــه أن اليهــود قد نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويجمعون أمرهم ليغزوه، مع من تحالف معهم من العرب.

لكنه لم يكتف بذلك، بل بعث عبدالله بن رواحة في ثلاثين رجلاً للتثبت والتبين من الأمر.. وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا إلى بني قريظة، فإن كان ما قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا في أعضاد المسلمين، وإن كان كذبا فاجهروا به للناس فانطلقوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما قيل لهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عهد له عندنا فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة "[٩١].

(٩٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٩٠ لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م

(٩١) الدرر في اختصار المغازي والسير ص١٧٢أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، المحقق الدكتور شوقي ضيف الناشر، دار المعارف، القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٤١٨، ٤/ ٤٣٤تحقيق: مصطفى عبد الواحد ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

المبحث الخامس: في أسباب ودوافع عدم التبين والتثبت، وآثار ذلك

المطلب الأول: أسباب ودوافع عدم التثبت والتبين

بقليل من التأمل في الدوافع والأسباب الكامنة وراء عدم التثبت والتبين لدى فئة ليست قليلة، في كثير من المواقف، سيكتشف القارئ أنها كثيرة، ومتنوعة بتنوع البشر في تصرفاتهم، ومآربهم النفسية، وهذا بلا شك يؤكد إلى حدٍّ بعيد مدى خطورة عدم التثبت والتبين، بوجه عام وخاصة في هذا العصر الذي يُعتبر عصر نقل الإشاعات والأخبار الكاذبة؛ لسهولة وسائل النقل فيها، الأمر الذي جعل الكثير من الظنون المتخيّلة بمثابة الحقائق الثابتة.

وبالعودة إلى البحث وتلمس الأسباب والدوافع الحاملة على عدم التثبت والتبين في كثير من الأمور والمواقف نجد أن أبرزها فيما يلي:

١ _ القصد إلى مخالفة التوجيه النبوي أو الجهل به، الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ)(٩٢)، فدل الحديث بسياقه على الأمر بصَوْن عِرْضِ المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بناء على الظنون، كما دل بمنطوقه على الأمر بالتثبت والتبين في الأمور.

٢- الاغترار ببريق الألفاظ وزخرف القول، قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ)(٩٣)، فقوله (ألحن بحجته) أي أفطن بها وأقوم، أفصح بها، واللحن مشترك بين الخطأ والفطنة(٩٤).

---

(٩٢) رواه البخاري في صحيحه ٧/ ١٩حديث رقم ٥١٤٣، بَابُ لاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَدَعَ، ومسلم في صحيحه صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٥ حديث رقم ٢٥٦٣، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا.

(٩٣) رواه البخاري في صحيحه ٩/ ٣٢حديث رقم ٦٩٦٧ في كتاب الحيل. باب إِذَا غَصَبَ جَارِيَةً فَزَعَمَ أَنَّهَا مَاتَتْ فَقُضِيَ بِقِيمَةِ الْجَارِيَةِ الْمَيِّتَةِ ثُمَّ وَجَدَهَا صَاحِبُهَا فَهْيَ لَهُ وَيَرُدُّ الْقِيمَةَ، وَلاَ تَكُونُ الْقِيمَةُ ثَمَنًا، ومسلم ـ في صحيحه ٥/ ١٢٨ حديث رقم٤٥٧٠ باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

(٩٤) ينظر: فتح الباري، ابن حجر ١/ ١٨٢.

وعليه فإن الكلام الفصيح قد ينخدع به السامع وإن كان باطلاً فيظنه حقاً؛ ولأجل هذا جاء هذا الخطاب النبوي التوجيهي محذراً من الاغترار ببريق الألفاظ قبل التثبت والتبين في حقيقة مضامينها.

٣- النشأة والتربية: فقد ينشأ المرء بين أبوين أو أسرة سمتهما عدم التثبت أو التبين، وحينئذ يسرى ذلك إلى نفسه، فإذا به صورة منهما، وهنا يتجلّى دور التزام الآباء بأخلاق وآداب الإسلام، أجل إن ذلك لو روعي لجنب الآباء أبناءهم كثيرا من الانحرافات، دون الحاجة إلى خطب أو مواعظ(٩٥).

٤- الصحبة العارية من هذا الخلق الإسلامي: فقد يعيش المرء في وسط غير ملتزم بهذا الخلق (التثبت والتبين)، فإذا به يحاكيه، ويتأسى به، لا سيما إذا كان ضعيف الشخصية غير واثق من نفسه، ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي. إن هذا لو وقع، لصَحَتْ الأعصاب، ولتنبّهت المشاعر والأحاسيس والجوارح(٩٦).

٥- الجهل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين ومنها:

أ - الرد إلى الله والرسول وذوي الرأي، قال تعالى{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}(٩٧).

ب - المناقشة والإصغاء الجيد لصاحب الشأن: فإنه صلى الله عليه وسلم قد استفصل مُحلم بن جُثامة حتى وقف على حقيقة الأمر بنفسه صلى الله عليه وسلم ومن ثم اتخذ القرار كما سبق تفصيله.

جـ - التجربة والملاحظة والجمع بين أطرف القضيَّة ومباشرة القضية.

(٩٥) ينظر: آفات على الطريق ٢/ ٧٠ الدكتور: السيد محمد نوح.
(٢) ينظر: آفات على الطريق ٢/ ٧١.
(٩٧) سورة النور، آية ٨٣.

٦- العجلة والحماس والعاطفة الجياشة، والجهل بعواقب عدم التثبت والتبين الوخيمة على الفرد والمجتمع فإن" العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب، وذلك وقع في المعاطب وذلك من كيد الشيطان ووسوسته "(٩٨).

ولمّا كان للعجلة والتسرع وعدم التثبت والتبين- في إصدار الأحكام- آثارها السلبية القاتلة؛ جاء النهي النبي صلى الله عليه وسلم عن يحكم الحاكم وهو غضبان، فقال: صلى الله عليه وسلم (لَا يَحْكُمْ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ)(٩٩)؛ لأن الغضب يشوش على عقل الحاكم، ويمنعه من تحري البينات والحجج وهو مظنة قوية لعدم التثبت والتبين.

قَالَ الامام الشَّافِعِيُّ: " استدل بهذا الحديث على تثبت الحاكم في حكمه قال: قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا}(١٠٠) الآية، فأَمَرَ اللَّهُ مَنْ يُمْضِي أَمْرَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَكُونَ مُتَثَبِّتًا قَبْلَ أَنْ يُمْضِيَهُ، ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحكم خاصة أن لا يحكم الحاكم وهو غضبان، لأن الغضب مخوف على أمرين: أحدهما: قلة التثبت.

وثانيهما: أن الغضب قد يتغير معه العقل، ويقدم به صاحبه على ما لم يقدم عليه لو لم يكن غضب "(١٠١).

---

(٩٨) التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوى ١/ ٨٦٧ الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٩٩) رواه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٤٢حديث رقم ١٧١٧، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ كَرَاهَةِ قَضَاءِ الْقَاضِي وَهُوَ غَضْبَانُ.

(١٠٠) سورة الحجرات، آية ٦.

(١٠١) السنن الصغير للبيهقي٤/ ١٢٧ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي المتوفى: ٤٥٨ه، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. والشافي في شرح مسند الشافعي ٥/ ٤٦٥ لابْنِ الأثِيرْ، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المحقق: أحمد بن سليمان - أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: مَكتَبةَ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولي، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

المطلب الثاني: آثار عدم التبين والتثبت.

يُلاحظ في كثير من الأحكام المتعلقة بحياة الأفراد والجماعة، ضرورة الالتزام بأمر التثبت والتبين في كل الأمور والمواقف، والعبد عن المواقف والأحكام المبنية على مجرد الظنون المتخيّلة؛ حتى تكون حياة الأفراد والمجتمع مبنية على الصدق والثقة والوضوح التام.

وحتى لا يُخذ الناسُ بجرائم متوهمة قد يكونون براء منها فيقع عليهم الظلم نتيجة عدم التثبت والتبين، لأن الأصل أن يكون المرء بريئاً حتى تثبتُ إدانته بالبينات والحجج(١٠٢).

ومن هنا يمكن أن تُصنّف عدة آثار سلبية قد تترتب على العجلة في إصدار الأحكام واتخاذ المواقف تجاه الحوادث، قبل التثبت والتبين في حقائقها؛ والتي من أهمها:

أولاً: إصابة الناس واتخاذهم بما هم بريئون منه، وهذا ظلم واضح الشريعة تمنع من الظلم، وتسد كل الأبواب إليه، وهذا جاء مُصرّحاً به في قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(١٠٣).

ثانياً: أن اتخاذ المواقف وإصدار الأحكام، قبل التثبت والتبين يُعتبر هو عين إصابة الناس بالجهالة الأمر الذي نهى القرآن عنه!

يقول القرطبي بعد ذكر آية الحجرات: " وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة، لأن الله تعالى أمر بالتثبت قبل القبول، ولا معنى للتثبت بعد إنفاذ الحكم، فإن حكم الحاكم قبل التثبت فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة(١٠٤).

(٣) ينظر: المقدمة في فقه العصر ٢/ ١٠٨٨، د. فضل بن عبد الله مراد، الناشر: الجيل الجديد ناشرون – صنعاء الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ ـ ٢٠١٦ م

(٤) سورة الحجرات آية ٦.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٣/١٦.

ثالثاً: اتهام الأبرياء زوراً وبهتاناً، في استحلال دمائمهم وأعراضهم؛ ولأجل أمرت شريعة الله بتقديم البينات والحجج بين يدي الدعاوى؛ ولأن الناس قد نُهوا عن تصديق الأخبار إلا البينات والحجج، وإلا كانت الأخبار في حُكمِ المكذوب، قال تعالى: {فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}(١٠٥).

فإن سياق هذه الآية عام في هذا الحكم وإن كان سبب نزولها في حادثة الإفك؛ "لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(١٠٦).

رابعاً: الحسرة والندامة، وسوء العاقبة كما حصل لمُحَلِّم بن جُثامة، الذي دعا عليه صلى الله عليه وسلم بعدم المغفرة، وأبت الأرض بِسترها! كما ذكر ذلك فيما سبق.. وكما صرحت آية الحجرات بذلك.

خامساً: فقد ثقة الناس مع النفور والكراهية: ممن عُرف عنه العجلة في الرأي والحكم على الناس قبل التثبت والتبين، فيُنظر إليه على أنه أرعن أحمق فينفرون منه ويكرهونه.

هذا كله يوضح لنا جانباً كبيراً من تلك الأثار السلبية التي قد تترتب على العجلة في اتخاذ المواقف وإصدار الأحكام قبل التثبت والتبين في الأمور(١٠٧).

وقد قال تعالى - إضافة إلى آيات الأمر بالتثبت والتبين - {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(١٠٨).

قال ابن حزم: "فأوجب تعالى على كل مدّعٍ المصدق أن يأتي ببرهان وإلا فقوله ساقط"(١٠٩).

(١) سورة النور آية ١٣.
(١٠٦) عمدة القاري للعيني ١٣/١.
(١٠٧) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك ١/ ٤٧٩ محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق المتوفى: ٨٩٦هـ المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق الطبعة: الأولى.
(١٠٨) سورة النمل آية: ٦٤.
(١٠٩) الإحكام في أصول الأحكام ١/ ٧٦ لابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى: ٤٥٦هـ، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

خاتمـــــــــة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

إن عدم التثبيت، أو التبين في الأمور قضية لا يكاد يسلم من شرها إلا من كان ذا صلة قوية ووثيقة بربه وكان حصيفاً في عقله، إنما هي عدم التثبيت أو التبين، ولكي يتحرر من ابتلوا بها ويتقيها من عافاهم الله عز وجل منها، فلا بد من تقديم تصور دقيق عن أبعادها الاجتماعية ومعالمها الفردية، وذلك باتخاذ وسائل التبين والتثبت؛ مثل: التأني أو التريث وعدم الاستعجال في الأمور والآراء، وحسن الظن بالناس حتى يثبت ويتبن العكس.

وليس من المبالغة القول إن كتاب القضاء بأبوابه وفصوله ومسائله، عقده أئمة الفقهاء في مُصنفاتهم بالأساس من أجل بيان أحكام التبين والتثبت، والضوابط والقوانين، والأساليب المرعية في ذلك، كل ذلك من أجل ممارسة مبدأ التبين والتثبت في كافة القضايا وسائر الأحوال.

أما أهم النتائج:

١- أهمية الأخذ بمبدأ التبين والتثبت في الأمور، وعدم الاستعجال فيها.

٢- الأثر الايجابي للأخذ بمبدأ التبين والتثبت في الأمور على حياة الأفراد والسلّم الاجتماعي.

٣- أن إهمال الأخذ بمبدأ التبين والتثبت في الأمور والأحداث له عواقب وخيمة على حياة الأفراد، والسلّم الاجتماعي، وخاصة على مستوى حفظ الدماء وصيانة الأعراض.

٤- أن الأخذ بمبدأ التبين والتثبت في الأمور يحتاج إلى سلوكه أي أحد من الناس على وجه العموم والعلماء وذوي السلطان على وجه الخصوص، لا يأخذوا الناس بالظنون صوناً لكرامة الأفراد وحمايةً لأموالهم وأرواحهم.

٥- أن غالب الدوافع على عدم التبين والتثبت معاداة بين الأفراد أو الجماعات أو الشعوب، أو استجابة لحملات التشويش والدعاية المغرضة دون مخالصة هؤلاء ومعرفة أحوالهم وأخلاقهم عن قرب ومشاهدة.

٦- أن الدخول في الاسلام هو مجرد قول لا إله إلا الله، وهي كافية مانعة لاستحال الدم والعرض والمال.

٧- أن أهم الدوافع التي تحمل على العجلة باتهام الآخرين بالإدانة قبل التبين والتثبت هو: عدم التماس المعاذير، وعدم السماع للحجج والآراء، بالرغم أنه لا عقبات ولا صعوبات تحول دون ذلك.

٨- أن عدم التبين والتثبت في الأمور من أبرز مظاهر الحُمق، وهو الجهل بالأمور الجارية في العادة ولهذا قالت العرب أحمق من دِغَةٍ، وهي اسم امرأة ولدت، فظنت أنها أحدثت فحمقتها العرب بجهلها بما جرت به العادة من الولادة[١١٠].

٩- كون آية سورة النساء في الأمر بالتبين أنها نزلت في مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، كما رجحه ابن كثير.

١٠- أن المراد بالفاسق في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ } هو الوليد بن عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ، كما قاله البغوي.

وأما التوصيات:

١- العناية بالقرآن الكريم قراءة وتدبراً.

٢- العناية بالسنة والسيرة النبوية دراسة وتأملاً.

٣- استنباط الهدايات والفوائد منهما.

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنام وآله الكرام وصحبه العظام وسلم تسليماً كثيراً ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين آمين

(١١٠) الفروق اللغوية للعسكري ص: ١٠١ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري المتوفى: نحو ٣٩٥هـ حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

فهرس المصادر والمراجع:

١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أنس مهرة.

٢) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣) الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م.

٤) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن، لحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٥) أصول السرخسي لأبى بكر محمد بن احمد بن ابى سهل السرخسى المتوفى سنة ٤٩٠هـ، الناشر: دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦) آفات على الطريق، للدكتور السيد محمد نوح، الطبعة الأولى. ١٤٠٧. هـ. - ١٩٨٧م. در الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع. المنصورة بمصر.

٧) إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لتقى الدين أحمد بن على المقريزى (م ٨٤٥)، دار النشر: دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٠/١٩٩٩م، بيروت، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٨) البداية والنهاية لابن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٩) بدائع السلك في طبائع الملك، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ) المحقق: د. علي سامي النشار الناشر: وزارة الإعلام – العراق الطبعة: الأولى.

١٠) البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١١) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٢) تحبير التيسير في القراءات العشر لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، دار النشر: دار الفرقان - الأردن / عمان - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة.

١٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٤) التذكرة الحمدونية ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

١٥) تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٦) تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع

١٧) تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، عام ١٩٩٧ م

١٨) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٩) تفسير النصوص، محمد أديب صالح، دار النشر: المكتب الإسلامي. بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٢٠) تفسير مفاتيح الغيب، لمحمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى

٢١) تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

٢٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

٢٣) التيسير بشرح الجامع الصغير - للمناوى للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي - الطبعة: الثالثة. الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤) جامع البيان للطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٢٥) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٦) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت.

٢٧) الجدول في إعراب القرآن محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ م.

٢٨) جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: ١، ١٩٠٠ م.

٢٩) الجوهر النقي لابن التركماني، لعلاء الدين علي بن عثمان، الشهير بابن التركماني الناشر دار الفكر. دار النشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت

٣٠) الدرر في اختصار المغازي والسير أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. لمحقق: الدكتور شوقي ضيف الناشر: دار المعارف – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٣١) السلسلة الصحيحة المجلدات الكاملة لمحمد ناصر الدين الألباني.

٣٢) سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٣) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٣٤) السنن الصغير للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٣٥) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي

٣٦) السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٧) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون لعلي بن برهان الدين الحلبي المتوفى ١٠٤٤هـ الناشر: دار المعرفة١٤٠٠هـ بيروت.

٣٨) السيرة النبوية لابن كثير تحقيق: مصطفى عبد الواحد ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٣٩) السيرة النبوية لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، المتوفى: ٢١٣هـ، المحقق: طه عبد الرءوف سعد الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٤٠) الشافي في شرح مسند الشافعي، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) المحقق: أحمد بن سليمان – أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: مَكتَبةَ الرُّشْدِ، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولي، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤١) شرح السنة لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٢) شرح النووي على مسلم أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢ه.

٤٣) شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ) المحقق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٤) الصحاح في اللغة، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار

٤٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

٤٦) صحيح ابن ماجة أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني.

٤٧) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر دار ابن كثير، اليمامة بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٤٨) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية للإمام أَبِي حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ النَّسَفِيُّ المتوفى ٥٣٧هـ الطبعة المعتمدة: دار الطباعة العامرة.

٤٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٥٠) غريب الحديث لابن سلام، المؤلف: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان.

٥١) فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه.

٥٢) فتح القدير للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت

٥٣) القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة

٥٤) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

٥٥) كتاب الكليات - لأبى البقاء الكفومى، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٦) كشاف اصطلاحات الفنون، والنظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي د. نعمان بوقرة - الجزائر، الناشر: اتحاد الكتاب العرب.

٥٧) مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

٥٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٥٩) المخصص - لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل إبراهم جفال.

٦٠) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٦١) مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٦٢) المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، الناشر: دار النشر / دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ).

٦٤) مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٦٥) مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) لمحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٦٦) معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٦٧) معجم الشيوخ للسبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ٧٢٧ - ٧٧١ هـ، تخريج: شمس الدين أبي عبد الله ابن سعد الصالحي الحنبلي ٧٠٣ - ٧٥٩ هـ، المحقق: الدكتور بشار عواد - رائد يوسف العنبكي - مصطفى إسماعيل الأعظمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤م.

٦٨) معجم الصحابة لأبي القاسم البغوي لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، المتوفى: ٣١٧ هـ، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان – الكويت.

٦٩) المعجم الكبير للطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية

٧٠) مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى.

٧١) مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى، دار النشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت. الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٢) المقدمة في فقه العصر، د. فضل بن عبد الله مراد، الناشر: الجيل الجديد ناشرون – صنعاء الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

٧٣) وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.